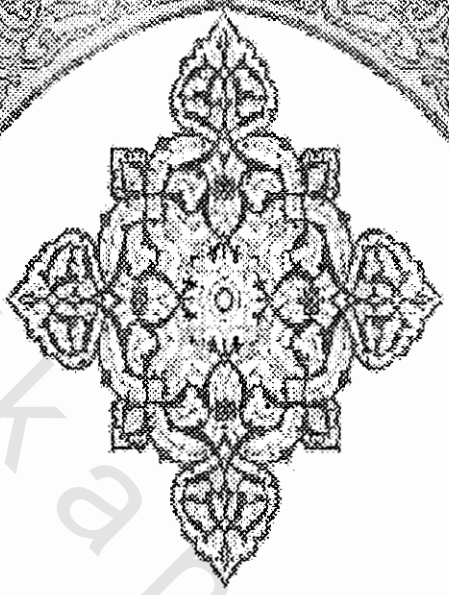

سورة مريم

obeikandl.com

﴿ سورة مريم ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾

اعلم أن كهيعص هى من تراكيب الاسم الأعظم الكبير المعبر به عندنا بدائرة الإحاطة، وقد أخذناه بدون طلب منا برؤيا منامية من العارف الكبير سيدى صلاح الدين التجانى ﷺ.

وقد أجازنيه بزاويته بإمبابة.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ ﴾

اعلم أن زكريا طلب الآية من لهفته على الولد، فطالب الحق سبحانه بالدليل فى الحضرة الإلهية، وهو ليس عين الكمال والذى يتقاصر عن حياض الكمال المحمدى، لكونه يعلم أن الوعد الإلهى مقطوع بصحته ولا ردة فيه فلا يجوز مطالبة الحق سبحانه بدليل وآية بما قطعه من وعد على نفسه، قال الحق سبحانه على لسان أهل الإيمان: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾.

واعلم أيدك الله أن نبينا محمداً ﷺ لم يشترط على حضرة الله عند فقط الولد إعطاءه إياه، بل رضى تمام الرضى بما أعطاه له ربه من البنات، ولم تنبس شفتاه بكلمة عندما قيل له ﷺ: إنه أبتر وعندما رأى

أولاده الذكور يموتون واحداً وراء واحد، حيث لم يقل كما قال زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴾ فإنه ﷺ كان أكثر تأدباً مع حضرة ربه من زكريا عليه السلام.

وهذا يبين الفرق بين مقامه ﷺ وبين غيره من إخوانه من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

واعلم إنما طالب الحق سبحانه وتعالى زكريا بجعل تلك الآية ألا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، لأن الذى طالب من زكريا الحق بالدليل هو اللسان، فرأى الحق سبحانه سكوت ذلك اللسان الذى طالبه وأن يصوم عن الكلام ثلاث ليال سويا.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾

قال الفخر الرازى فى تفسيره المسمى مفاتيح الغيب عند تأويله لهذه الآية: أى آتيناه النبوة.

أقول: وصدق فيما قال، فاعلم أن الحكم لا يعطى إلا بشيئين:

إما بالنبوة.

واما بالولاية.

فأسقط الرازى بلوغه الأربعين حتى ينبأ ثم يعطى الحكم، فرأى أن الأربعين ليس بشرط أساسى فى إعطاء النبوة، ولذلك قال الحق سبحانه: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾، أى شبيهاً يبلغ النبوة قبل الأربعين.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿١٧﴾ ﴾

أى ضربت بينها وبين الأكوان حجاباً لكى تتطهر من علل الأكوان

وشواغل الرق، فتخلو بالحق وحده سبحانه، فسدلت حجاباً على الأغيار كى تخلو بمن تحب.

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾

قال الشيخ الأكبر فى الفصوص فى الفص العيسوى: إن عيسى عليه السلام ذو شقين شق بشرى كان من مريم وشق إلهى كان من جبريل عليه السلام، ولذلك ألهه قومه وجعلوه إلهاً.

وهذا الروح الجبريلى نفخ فى مريم سر الروح الذى تركب فى الذات العيسوى، ولذا كان يحى الموتى ويبرأ الأكمه والأبرص فوسمه قومه بالألوهية، وهو تبرأ منهم ومنها.

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

أقول: قد احتج العلماء بهذين الآيتين بثبوت كرامات الأولياء حيث أخرج الله لمريم سرياً ــ أى نهراً ــ لتشرب منه، وألان لها جذع النخلة فهزته فتساقط منه رطب لكى تأكل منه.

وقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن السرى الذى قال الله لمريم ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ نهر أخرجه الله لتشرب منه.

أقول: واعلم أن فى هذا رداً على منكرى الخوارق لغير الأنبياء.

واعلم أن حقيقة الفعل الخارق للعادة أنه مُعْطَىً للكل، فإن الكل آخذ منه بنصيب وجانب لطرف وافرمنه، فإن كل طبقات البشر يتوزع عليهم الفعل الخارق، ومثال ذلك أن المعجزة تكون للنبى.

والكرامة للولى.

والإرهاص للنبى قبل بعثته.

والمعونة لعامة المسلمين كمثل نصر الله للجيوش المسلمة فى بدر وفى حرب أكتوبر.

والإهانة والاستدراج للكافر والفاسق ومثاله عندما طلب بنو حنيفة من مسيلمة أن يدعو الله لهم فى بئر مالحة لكى تصبح عذبة، فازدادت ملوحتها لما دعا.

والسحر للكافر وعصاة المؤمنين وفسقتهم.

وهكذا أعطى الحق سبحانه الفعل الخارق للكل لينظر فيما سوف يسخره؟ وهل كنا ننتظر من الكافر أن يخترع كل ما نراه من عجائب فى الكون هى كالمعجزات الخارقة، وأراد الحق سبحانه لهذا الكافر أن تظهر على يديه هو، من تليفون محمول وكمبيوتر وسفينة فضاء وطائرة وصاروخ وتليفزيون.

وهذه الاختراعات يصح أن يطلق عليها الفعل الخارق المتجسد، أى أنه سبحانه جسد فعله الخارق على يد الكافر لحكمة إلهية جليلة.

﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

اعلم أن تركها للكلام كان تمهيداً لتكلم عيسى فى المهد، فتركت الكلام لكى تشير إلى المسيح فينطق ويتكلم بدلاً منها، وهو من باب تمهيد الأدنى للأعلى، وهو من سنن الوظائف الكونية.

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾

اعلام من الحق تعالى بفوائد العزلة واجتناب الخلق والفرار منهم،

لاسيما أهل الفسق والحجاب، فإن العطاء ههنا لم يصل إلا بالعزلة، فالوهب للمعتزل فافهم، فالمعتزل هو الذى تصله الهبة الربانية جزاءً لاعتزاله للأعيان الحاجبة عن حضرة الله عز وجل.

فحكى الحق سبحانه أنه ــ أى إبراهيم عليه السلام ــ لما اعتزلهم تحقق له وهب الحضرة وعطائها فافهم.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾

أى خالياً من رق الأغيار متحرراً من علل الطينة، فلم تمسه علة بسوء ولم تقربه مثقال ذرة من أدران الطبيعة البشرية، فكان هو العبد المتحرر المتخلص من رق الأسر الطبيعى، والذى تحكمه وتعبث به النفس ، فهو العبد الكامل الذى صممت له كل خطوة من خطواته، وكل حركة من حركاته، وكل خطرة من خطراته، فهو عبد ولتصنع على عينى، أى العبد الذى خلت منه عيوب الطينة.

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴿٥٢﴾ ﴾

اعلم أن هذا الخطاب الإلهى فيه فضل التيامن وكان من الممكن أن يقال: " وناديناه من جانب الطور الأيسر".

ولذلك قال ﷺ: ((**وكلتا يديه يمين**)) واعلم أنه لا جهة أصلاً فى الاختصاصات الإلهية، فلا يمين ولا شمال بجوار الذات والأسماء، وإلا حدت هذه المسميات الوجود الإلهى، ولكن تطلق الحضرة اليمين على كل ما تحبه وتعطيه لمن أحبته، وتطلق الشمال على كل ماتبغضه وتعطيه لمن نبذته وسقط من عينها.

فاليمين هو العطاء والشمال هو السلب، ولذلك أسمت الفائزين من

أهل الجنة بأصحاب اليمين، وأسمت الخاسرين من أهل النار بأصحاب الشمال.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾

قدم ههنا صدق الوعد على الرسالة والنبوة، فقدم نعت الصفة على اللقب، وذلك لكون اللقب بلا نعت وصفة هو إلى الفقر أقرب منه إلى الغنى.

وهذا يحسب للسادة الصوفية الذين زهدوا في زخارف اللقب وتمسكوا بمحاسن النعت والصفة فيهم، فطالبوا أنفسهم بتزكية النفس وحسن النعت والصفة.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴿٩٧﴾ ﴾

أى لأجلك قرأوا كلامى وناجونى به وخاطبونى به، فمن قرأه بتدبر فكأنه يكلمنى وأكلمه، فلأجل مقامك عندى تنازل الكلام القديم وخفف إلى ما حوته أوراق المصحف، فتحملت الألسن النطق به والتفوه بحروفه وكلماته.